جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

دور الصناعات الإبداعية في الفنون الاسلامية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام

The role of creative industries in Islamic arts in promoting sustainable aesthetic behavior

فاطمة سامي سويدان

مدرس بقسم النقد والتذوق الفني

كلية التربية الفنية

جامعة حلوان

٢٠٢٢ م

دور الصناعات الإبداعية في الفنون الاسلامية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام

The role of creative industries in Islamic arts in promoting sustainable aesthetic behavior

مقدمة:

الصناعات الإبداعية تجمع في محتواها بين الوظيفة والمعرفة والفنون والإبداع، وهي أحد مميزات الفنون الإسلامية التطبيقية التي تحمل بين طياتها الجمال والمهارة والدقة والإتقان، حاملة قيم جمالية تسر النفس وتمتع البصر وتُجمل المنافع الحياتية؛ فقد حرص الفنان على إضفاء الجمال على منتجاته وجميع المستلزمات التي يستخدمها في حياته اليومية بهدف إيقاظ الحس الإنساني عند التعامل مع الجمال في الأشياء من حوله وأن يعتاد الإنسان الإدراك الجمالي والتأمل الخالص للكون، وأن تكون الصناعات الإبداعية هي مصدر الاستمتاع بالتجربة الجمالية للفنون الإسلامية، " فالفن الإسلامي تميز في إبداعاته بمجموعة من الخصائص تمثل عناصر أساسية لابد أن تتوافر للإعلاء من القيمة الجمالية؛ منها أن يكون الجمال مقصوداً فيه وليس أمراً عارضاً، وأن يكون انتاج الفن من باب الارتقاء بالقيم وليس من باب الضروريات، وأن يكون الفن مجالاً للإبداع وابتكار والتجديد ".

فقد تعدّت الصناعات الإبداعية التشكيل المادي والتزييني، إلى قيم جمالية مركبة التأثيرات المادية والروحية والعقلية التي تنعكس على الإنسان؛ بتأثيرات تخالط الروح والنفس والعقل فتنطلق ردود أفعال متباينة ينتج عنها رضا وسعادة ومتعة للإنسان، وما ينبثق عن ذلك من سلوكيات، تتجلى في الأفعال والأقوال والانفعالات ومشاعر أفراد المجتمع.

مشكلة البحث:

إن تأثير الرؤية الجمالية في الصناعات الإبداعية لها دور إيجابي في الارتقاء بالإدراك الجمالي وهو أحد أهداف الفنون الإسلامية في عصورها المختلفة التي حرصت على تحويل كل ما هو وظيفي إلى فن جميل يسعد المستخدم بما يعزز السلوك الجمالي ويجعله مستدام وهو واحد من الأهداف التي تسعى اليها المجتمعات الحديثة؛ لما للسلوك الجمالي من دور في توجيه المعرفة والتنمية في المجتمع.

سؤال البحث:

كيف تساهم الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية في تعزيز السلوك الجمالي؟

أهداف البحث:

- الكشف عن دور الفن الإسلامي في تعزيز الصناعات الإبداعية.
- الكشف عن أهمية تحويل الأداة الوظيفية إلى فن.
- التعرف على تأثير الصناعات الإبداعية في السلوك الجمالي لدى أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية:

الصناعات الإبداعية، الفنون الاسلامية، السلوك الجمالي

منهجية البحث:

استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ ويتناول إطار نظري عن الصناعات الإبداعية عامةً والصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية خاصةً وأهم ما تميزت به ودرجات الإدراك الجمالي لتلك الصناعات، ويتناول أيضاً البحث إطار عملي يوضح أهمية الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام من خلال شرح نماذج مختلفة من تلك الصناعات التي تتضمن تصاميم جمالية وتوضيح آثارها المتنوعة على سلوك الفرد وبنية المجتمع بأبعاده وأنساقه المستدامة.

الصناعات الإبداعية:

وفق منظمة اليونسكو فإن الصناعات الإبداعية تشمل المهن الحرفية والتصميم " وهي صناعات تشهد نمواً مستمراً ومتعاظماً وتلعب دوراً حاسماً في مستقبل الثقافة. إن البعد الدولي لهذه الصناعات يجعلها تلعب دوراً حاسماً في رسم المستقبل من حيث حرية التعبير والتنوع الثقافي والتنمية الاقتصادية " [١].

فالصناعات الإبداعية هي إضفاء الحس الفني والجمالي على المهن الحرفية والصناعات الحياتية وتحويلها من مجرد أداة وظيفية إلى عمل فني، معبرة عن إرادة التطور ومواكبة العصر وهوية المجتمع في الوقت نفسه؛ وهي صناعات تشهد نمواً مستمراً ومتزايداً باعتبارها

[١]- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، رابط
www.unesco.org/new/ar/culture/themes/cretivity/creative-industries/

خيار إنمائي مستدام يعتمد على مورد الإبداع البشرى – حيث تعتمد على قدرة إبداع جماليات فنية – وذلك من خلال توافر حرية التعبير والتنوع الثقافي في المجتمع.

وتعد الصناعات الإبداعية أعمالاً في مختلف المجالات التطبيقية، ذات طرز تجمع بين المعرفة والإبداع فهي تمثل رؤية لمستقبل عمليات عقلية وتقنيات جديدة، بحيث تتحول الأفكار إلى واقع يثمر عنها نتائج مبتكرة تحمل قيم جمالية تفيد الفرد والمجتمع؛ وذلك لأنها تجمع بين التفكير والمعرفة والإبداع ويعد " مصطلحي المعرفة Knowledge والإبداع Creativity مرتبطان ببعضهما؛ فالعملية الإبداعية تحتاج إلى قدر كافي من المعرفة في الموضوع أو الفكرة التي يقع عليها التفكير، وبدون المعرفة لن يكون هناك ما يمكن إبداعه، أو الإبداع فيه "[١]، وتعتبر الصناعات الإبداعية واحدة من أهم المعالجات التشكيلية التي لجأ إليها الفنان لما وجد بها من فعالية في توصيل المعرفة إلى الفرد؛ فجدد فيها الطريقة الإبداعية عن سابقتها وأضاف أسلوباً خاصاً في المعالجة الفنية مؤكداً على وحدتها ودقة زخرفتها بما تتضمنه من دقة وجمال وثراء وتنوع ترتبط بالعوامل التالية:

- المجتمعات المحلية: لأن هذه الصناعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأفراد والأماكن التي نشأوا فيها، لأنها تعتمد على الحرف الشعبية والقديمة.
- التماسك الاجتماعي: لأنا تدعم الشعور بالانتماء إلى المجتمع من خلال إنشاء شبكة اجتماعية متماسكة ومنتمية لبعضها البعض.
- الحرية والثقة: التي تمكن جذب العاملين للإبداع والابتكار في هذا المجال.

الصناعات الابداعية في الفنون الاسلامية:

إن الفن الإسلامي هو " تأمل يستطيع الفنان من خلاله أن يلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة ... وتحويلها إلى لون من الآداء الجميل يثير في النفس الانفعال ويحرك فيها حاسة الجمال " [٢] ولهذا جاء الجمال في الفن الإسلامي مقصوداً للتحسين وليس عارضاً للضرورة، فقد حوّل جميع الصناعات إلى منتجات جمالية تحقق مفهوم الاستمتاع، حتى أصبح الفن الإسلامي في العموم زخرفي تزييني بهدف أن يسر النفس، لكنه يعمل في ذات الوقت على نقل القيم والأفكار والمشاعر الروحانية بأسلوب جميل ومؤثر؛ حيث يوفر عنصر المتعة بالإضافة إلى التأثير في السلوك " فقد جاء الفن الإسلامي مؤكداً مفهوم الجمال بمعناه الواسع الذى لا يقف عند حدود

[1] - Rosso ،Lula.: 2012 , Materials Research and Innovation in the Creative Industries Retrieved from Materials research and innovation in the creative industries - Publications Office of the EU (europa.eu)

[٢]- محمد قطب: ١٩٨٣، منهج الفن الإسلامي، مطبعة دار الشروق، مصر، ص ٨.

الحس ولا ينحصر في قالب محدد، إنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، إنه جمال الكون والطبيعة، جمال المشاعر، والقيم، والأوضاع، والنظم، والأفكار، والمبادئ والتنظيمات، كلها مدركات إستاطيقية تتحقق في الفنون الإسلامية وهي المادة الأصلية في التعبير، وهو يعرض من خلالها الحياة كلها " [١].

لذلك كان دعوة الفن الإسلامي إلى اتخاذ الجمال في كل صناعة يتم انجازها؛ لتعمل على تجميل الحياة وتزيينها، فإذا هيمنت القيم الجمالية والإبداعية إلى جانب القيم الوظيفية تحولت الصناعة إلى فن؛ يحتوى فهم الفنان التأملي لمكونات الطبيعة لتحقيق تكوينات مركبة بمقاييس متعددة بالغة الحيوية تتكامل مع تعددية الزخارف وهيئات المشغولات، ذات الوحدة البنائية والجمالية والشكلية والوجدانية؛ حيث تضمنت الفنون التطبيقية في المجالات المختلفة صيغ واحدة من حيث الجوهر والمضمون دفعت إلى التوحيد بينهم رغم تباعد المكان وتوالى الزمان، هي " صيغ ومفردات تحقق الجمال والوظيفة في وقت واحد، حيث لم يشكل الجانب الجمالي منفرداً وإنما مشتركاً مع الجانب الوظيفي " [٢].

فاحتلت الصناعات الإبداعية مركزاً أساسياً بين الفنون الإسلامية المختلفة إذ تفوق المسلمون فيها وجاءت تعكس رقى الحضارة الإسلامية إبان عصروها المختلفة إذ كان التجميل في كل ما له صلة بالإنسان وهو يعد عملية تطبيقية لنظرة الإسلام الجمالية الشاملة التي جاء بها المنهج الإسلامي ودعا إليها. في كل مجال ليصبح لغة متداولة يتعامل بها كل الناس من الأشياء والأدوات التي تُستخدم في الحياة اليومية، بمعنى صُنع أشياء عمليّة ذات فائدة وجذّابة من الناحية الجماليّة، من أجل إنتاج ذات فائدة، تشمل جميع الأشياء الوظيفيّة: وتشمل الأشياء التي تتضمّن تطبيق التصاميم الجمالية عليها، مثل النسيج والخزف وصناعة الورق، والزجاج والخشب والجلود وهي صناعات حظيت بعناية خاصة لكونها من مظاهر التحضر فوصلت إلى درجة كبيرة من التنظيم والإتقان ومن أهم ما تميزت به الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية:

- **الإتقان:**

إن الإتقان هو عمل يتعلق بالمهارات التي تؤثر على الانتاج، وهو يرتبط في تطبيقاته بالخبرة والمهارة والإخلاص في العمل، وهو ما يؤدى إلى إنتاج ذو دقة وجمال لعمل يتصف بمعايير أداء عالية للغاية، ومن شروط تحقيق الإتقان في العمل الفني في:

---

[١]- أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص ٢٠.
[٢]- حكمت بركات: ٢٠١٧، الفنون القبطية والإسلامية، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، ص ١٢٤.

الإخلاص: وذلك أن يبتغى الفنان بعمله وجه الله تعالى ورضاه.

الصواب: وذلك أن يقوم الفنان بالعمل بما لا يخالف معايير وضوابط الإيمان.

القوة: وهي توافر القدرة والكفاءة لدى الفنان للقيام بالعمل والمهارة فيه.

الأمانة: وهي توافر الإخلاص، وشعور الفنان أن الله يراقبه وهو يعمل.

بذل أقصى جهد: أن يبذل الفنان أقصى ما لديه من خبرات ومعارف وتطويعها لإنتاج فن ذي قيمة جمالية متميزة تسرّ الناظرين.

- **الطلاقة التشكيلية:**

الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية اتسمت بالإبداع والطلاقة التشكيلية النابعة من وفرة الأفكار والمفردات الإسلامية، والمرونة التشكيلية في قدرة الفنان على تأمل الواقع وتغيير رؤيته، تحويل جميع عناصر الطبيعة والبيئة المحيطة إلى وحدات زخرفية ومفردات شكلية تثرى التكوينات الزخرفية التي تتسم بالمرونة والاختلاف والتنوع وفقاً لما يستخدمه الفنان من خامات في جميع المجالات الفنية بأشكال ذات أصالة ميزت الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية بالتعبير الفني والتفكير الابتكاري النابع من تراثه الثقافي وعقيدته الدينية.

- **الالتزام وحرية الإرادة:**

الالتزام والحرية عنصران أساسيان في الإبداع الفني كلاهما نابع من إرادة الفنان من خلال تمكنه من " تحقيق حريته المقرونة بالالتزام وحرية الإرادة ... لكونهما ضرورة جمالية إن كان نابعاً من اختيار حر ملتزم بحدود الحرية الإنسانية " [1] واتبع الفنان في الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية مبدأ الالتزام بحيث يتوافق مع العقيدة الإسلامية ومع النفس البشرية ومع القوى الإبداعية من أجل تحقيق هدف يتقبله المجتمع من خلال الوعي الإنساني ويتعايش معه من خلال ما يتلقاه وما يحققه من حرية متبادلة بين الفنان والمتلقي.

- **السهولة واليسر:**

تتصف الصناعات الإبداعية بالسهولة واليسر في استجابة الجمهور؛ مستخدماً فيها كل الوسائل " المتاحة لتحقيق المضمون والغاية، ليساير الفطرة الإنسانية في حب الجمال وتذوق

[1]- مصطفي عبده: ١٩٩٩، المدخل إلى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية، مكتبة مدبولي، مصر، ص ١٧٩.

الفن، عن طريق إبداعات تضفي عليه السعادة بما يحمله من جمالية تزيينيه سادت عبر الأمكنة والأزمنة"[1] تمتع جميع الأفراد في أي مكان وزمان.

الإدراك الجمالي للصناعات الابداعية في الفنون الإسلامية:

جسدت الصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية تفاعل الحواس مع العقل والقلب من خلال الإدراك الجمالي لها " ليصل إلى دلالات تأتى وراء البناء الظاهر له بما لا يكتفي معه بالنظرة الحسية المباشرة، بل إنه إدراك يتجه إلى المعاني الإستطيقية مما يجعله لا يدرك بالمشاهدة العينية... وإنما استمتاعنا به وتذوقنا له يتحقق إذا ما تعمقاً وجدانياً في جمالياته، وما يسعى إليه للنفاذ خلال الظواهر الحسية لإدراك الجوهر الباطن بطريق الحدس المباشر الذى يضفي له الروحانية المرتبطة بالعقيدة، كإطار مفاهيمي وحضاري لمتطلبات الإنسان الروحية والدنيوية من خلال مبادئ الفن " [2] لذلك فإن الإدراك الجمالي للصناعات الإبداعية يتم من خلال الاستخدام الدائم في المعيشة وما يتركه من أثر في إحساس وفكر وسلوك أفراد المجتمع، وذلك من خلال ثلاث درجات من الإدراك الحسى والباطني والجمالي:

- **الإدراك الحسي:**

وهو انتقال الصناعات الإبداعية إلى العقل الظاهري أو الذهن من خلال منافذ الإدراك الخمسة، ثم يتم تحليل تلك المدركات الجمالية بها وعرضها على العقل لفهم مظاهرها وتحويلها إلى معاني؛ فالعقل الظاهري له القدرة على تحويل التخيلات الجمالية في الصناعات الإبداعية إلى تصورات تستدعى المعاني والأفكار الخاصة بثقافة المجتمع ويحللها ويركبها ويقوم بالأعمال الإدراكية المعرفية الواعية.

- **الإدراك الباطني:**

وهو العقل اللاشعوري أو اللاواعي مستودع الذاكرة والصور والمعاني الذي يشمل الإجراءات النفسية الباطنية فتطبع الصناعات الإبداعية على شعور وذوق ووجدان العقل اللاواعي القيم الخاصة بها.

- **الإدراك الجمالي:**

[1]- أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ١١١.
[2]- أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

ويعتمد الإدراك الجمالي على الخبرة الجمالية التي تكشف ما في الكون من جمال وتناسق وانسجام وإيقاع، لذلك حث الإسلام دائما على التأمل لتآلف الجمال في الكون والطبيعة، وجاءت الصناعات الإبداعية تعكس القيم الجمالية في الكون فيآلفها الإنسان بعقله الظاهري وتنطبع على ذاكرته بعقله اللاشعوري وتسر عينه فتؤثر على إحساسه وذوقه، بل وعلى سلوكه.

وبالتالي يمتلك " العقل الظاهري إدراك واحساس ودهشة ويمتلك العقل الباطني تخيل وتوهم وتذكر ويمتلك العقل الإبداعي المعرفة والتأمل والتصور ذلك العقل الذي يحول الإدراك من تخيل إلى تصور، ويحول الإحساس من تذكر إلى تأمل ويحول الدهشة من توهم إلى معرفة وذلك بتضافر ثلاثة قوى الواعية الظاهرية والباطنية والإبداعية "[١].

لذلك تتطلب عملية الادراك الجمالي للصناعات الإبداعية في الفنون الإسلامية الانعزال عن مشاغل الحياة المعتادة والاستغراق العميق من أجل إثارة الملكات العقلية والأحاسيس والعواطف والذكريات والأفكار، واستخراج المعاني الجمالية حتى نصل إلى درجة الاستمتاع بالفن، مع الوضع في الاعتبار أن استجابة الفرد تختلف بقدر ما يحمله من معرفة ومعتقدات وقيم واستعدادات وانفعالات إلى جانب المعرفة الفنية المسبقة، ولكنه اختلاف محدود قد يمس جانباً من الجوانب التي تشكل القيمة الجمالية.

أمثلة من الصناعات الابداعية الإسلامية:

من الصناعات الابداعية في الفنون الإسلامية النوافذ في العمارة الإسلامية التي ارتقت قيمتها الوظيفية إلى قيم فنية وجمالية؛ فقد تنوعت تلك الصناعات الإبداعية في المساحة والتصميم والخامات والزخرفة المستخدمة؛ فنجدها في الأسبلة شكل (١) صناعة ذات تصميم مفتوح تناسب وظيفتها للدلالة على عمومية المكان حاملة زخارف هندسية أو نباتية مبسطة لتحقيق سهولة الإدراك والاستجابة الشكلية والجمالية للعامة من أفراد المجتمع فتشكل رضا وسعادة ومتعة لبصر مستخدمي الأسبلة. بينما يختلف تصميم النوافذ وزخرفتها في البيوت والقصور شكل (٢) لتكون ذات سمة خاصة تحقق الخصوصية؛ فنجد أغلب تصميماتها الضيقة وزخارفها التي تجمع بين الهندسية والنباتية والحيوانية وأيضاً الكتابية تحمل جماليات ودلالات تعزز القيم الجمالية التي تنعكس على ساكنيها؛ فالقمريات منها ذات الألوان المبهجة والشمسيات ذات الزخارف الهندسية والحيوانية والكتابية ذات الدلالات الاجتماعية والدينية مما

[١]- مصطفي عبده: ١٩٩٩، المدخل إلى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٧.

يعزز الارتقاء بالقيم الجمالية والذوق والعاطفة الوجدانية كما لها القدرة على إثارة الأفكار والخيال والمشاعر مما يعمل على تعديل السلوك الدائم للسكان. وظهرت صناعة النوافذ الإبداعية في العمارة الدينية وخاصة في المساجد شكل (٣) ذات تصميمات وخامات وزخارف مناسبة للإعلاء من التأثير الروحاني للمصلين؛ فتجمع بين الشمسيات والقمريات التي تعكس إضاءة وزخارف على جدران وأرضية الأروقة تؤثر في حس وشعور المصلين. كل ذلك جعل النوافذ في العمارة الإسلامية صناعة تحلها من مجرد وظيفة إلى عمل فنى له قيمته التي تضفى على المكان روعة نابعة من التآلف بين المادة والقيم الروحية والجمالية فيها ليصبح الجمال مقصوداً وليس عابراً.

شكل (١)
سبيل محمد على بالقاهرة

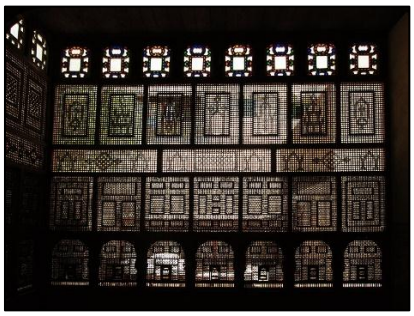

شكل (٢)
بيت السحيمي بالقاهرة

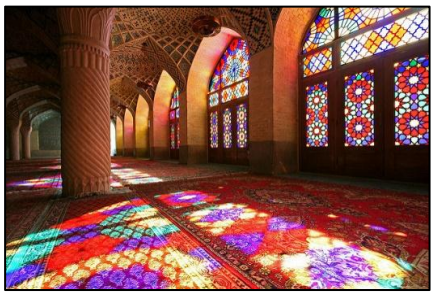

شكل (٣)
مسجد قوس قزح بإيران

وتعتبر المشكاوات أشكال (٤،٥) صناعات إبداعية تضئ المنشآت المعمارية الإسلامية بالإضافة إلى قيمها التشكيلية والجمالية النابعة من وفرة خاماتها من زجاج مزخرف بالمينا والذهب ليعطى إحساس بالرقى والازدهار بالإضافة إلى تنوع زخارفها خاصةً الكتابية منها؛ فغالباً ما تحمل صناعات المشكاوات طابع تزييني للخط العربي عبارة عن آيات أو عبارات تاريخية أو دعائية ترتبط بوظيفتها حيث تعتبر بمثابة رمز ديني يتصل بمفهوم النور الذى يعد ذو دور هام في بعث اللذة الحسية التي تشكل رضا وسعادة على نفس الفرد، بالإضافة إلى المتعة الروحية التي تجمع بين الجلال السماوي والجلال الدنيوي وتنقله من العالم المادي إلى العالم الروحي فتسمو النفس.

شكل (٤)
مشكاه من الزجاج، العصر المملوكي، القرن ١٥م

شكل (٥)
مشكاه من الزجاج، العصر المملوكي، القرن ١٤م

كما تتميز صناعات القلل الخزفية أشكال (٦،٧،٨،٩) في الفنون الإسلامية بقيم جمالية غير مرئية إلا عند الشرب منها؛ حيث تحمل في رقبتها شباك له فتحات صغيرة تكوّن زخارف متعددة ومتنوعة هندسية ونباتية وآدمية وحيوانية كما استخدم الفنان بعض الكتابات من الخط العربي التي تحمل حِكم ومواعظ تؤثر بشكل مختلف على مستخدمي القلل؛ فقد تحمل هذه الزخارف قيم ذو دلالات رمزية تختص بالثقافة الإسلامية تسهم في إرشاد مشاعر وأفكار الشارب مما يعمل على تعزيز سلوكه، وقد تحمل قيم تشكيلية وجمالية بسيطة الإدراك للعامة من أفراد المجتمع فتسر عين الشارب وتشكل رضا وسعادة على نفسه مما يعمل على الارتقاء بالقيم الجمالية والذوق داخل المجتمع.

شكل (٦)
شباك قلة فخاري، العصر الفاطمي

شكل (٧) شباك قلة فخاري
العصر الفاطمي، القرن ١١م، زخارف كتابية (يا نايم فيق)

شكل (٨)
شباك قلة فخاري، العصر الفاطمي، القرن ١١م

شكل (٩)
شباك قلة فخاري، العصر الفاطمي، القرن ١٥م

كما أن المشغولات المعدنية شكل (١٠) تميزت بتناغم العناصر؛ وفيها يتواجد الجمال عن طريق الزخارف الإسلامية التي تمزج بين العناصر الآدمية والحيوانية والنباتية والهندسية والكتابية بأدوار متساوية، تعكس ثقافة المجتمع فيه من خلال تمثيل العادات والتقاليد التي كانت متبعة في ذلك الوقت، كما توصل الفنان إلى تحويرها وتبسيطها من أجل أن يحقق المتعة البصرية للإنسان يصاحبها الإحساس بالاستمتاع، فقدم رؤية مستلهمة من البيئة على هيئة تشكيلية تتسم بالبساطة والجمال بهدف سهولة ويسر التواصل مع المستخدم مثل الأباريق شكل (١١) التي تميزت بالبساطة في رؤية العالم الموضوعي والمتخيل في الوقت ذاته حيث قام الفنان بإنشاء أبعاد بنائية وتأليفية من الواقع البصرى حاملاً للمتلقي لغة جمالية بسيطة ينعدم فيها الانفعال كذلك التأثير الحسي المبهج الناتج من اكتشاف الأبعاد العاطفية والخيالية بالعمل.

شكل (١٠)
مبخرة من النحاس، العصر المملوكي، القرن ١٤م

شكل (١١)
إبريق من البرونز، العصر الأموي، القرن ٧–٨م

(AmeSea Database – ae – April- 2022- 568)

أهمية الصناعات الابداعية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام:

خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية بفطرة الإحساس بجمال الكون وإدراكه؛ كما جعل الله الجمال أمراً محثوثاً عليه في الشرع والدين " إذ من فطرة النفس البشرية السعي إلى الجمال، والسبب هو كما يقول جورج لوكاتش إن الجمال ينقذ الإنسان من الانحطاط الإنساني " [١]، وهو دلالة واضحة على عظم قيمة الجمال الذى هو البهاء والحسن في الفعل والخلق، وإلى تنمية إحساسه بالجمال في الكون من صور ومعانى " فاستعظام هذه الصفة واستشرافها يتبعه شوق إلى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال، وحرص على التحلي بذلك الوصف " [٢] مما دعي الفنان إلى استخلاص القيم الجمالية من الكون ليحولها إلى حوار جمالي داخل صناعات إبداعية تتصف بالمهارة والدقة والإتقان.

وقد أشار العديد من علماء الجمال إلى أهمية الجمال والفن في تأثيره على الحس والشعور الإنساني لما له من دور في الارتقاء بالقيم الجمالية والعاطفية الوجدانية والذوق فأكد الفيلسوف الإنجليزي جيرمن بنتام J.Bentam صاحب نظرية المنفعة، أن المذهب النفعي يؤكد على أهمية تحقيق السعادة والبحث عن المتعة من أجل المجتمع، ورأى " إمكانية قياس المتعة من حيث الشدة والمباشرة، ويفضل تحقيق المتعة في أقصى شدتها، وضمان استمرارية زمنها إلى أطول فترة ممكنة"[٣]، بينما رأى الفلاسفة أوتيتس Utiz ودسوار Dessoir أن " للفن أهدافاً عديدة، ومنها وظائف عقائدية وقومية ونفعية وعاطفية، وليس الجمال في نظرهما إلا وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الفن من أجل أن يقوم بوظائفه تلك التي تخرج عن نطاق الجمال، إذ أنه لا يصبح الجمال الغاية الوحيدة إلا في حالة ما إذا انحصر هدف الفن في التقنية " [٤].

أما جورج سانتيانا George Santayana (١٨٦٣ / ١٩٥٢ م) فيرى أن الجمال هو" قيمة إيجابية باطنية ذات وضع محسوس، أو هو المتعة النابعة من صنعة شيء من الأشياء ... بل إنه الانفعال والعاطفة اللذان يخصان طبيعتنا الإدراكية والتذوقية، ولا يمكن أن يكون الشيء جميلاً دون أن يحدث متعة لدى المتذوق " [٥]، والأثر الجمالي يترك في النفس ما يولد ردود أفعال؛ أما أرسطو (٣٨٤ / ٣٢٢ ق. م) فيرى أن الفن مجالاً يهذب العواطف وينقيها

---

[١]- أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٨٧.
[٢]- محمد عمارة: ٢٠٠٧، الإسلام والفنون الجميلة، دار الشروق، مصر، ص ٢١.
[٣]- محسن عطية: ٢٠٠٠، القيم الجمالية في الفنون لتشكيلية، دار الفكر العربي، مصر، ص ٧٧.
[٤]- محسن عطية: ٢٠٠٠، القيم الجمالية فى الفنون التشكيلية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٧.
[٥]- أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٩٤.

من الشوائب ويطهر النفس؛ وذلك من خلال استخدام الإنسان للطبيعة المحيطة وتطويعها بما يتناسب مع احتياجاته بهدف الوصول الى الكمال الإنساني من خلال فعل الفن.

بينما صرح أفلاطون Plato (٤٢٥- ٣٤٧ ق.م) في فلسفته أن " الجمال يتوفر في الحق والخير، أما الخير فله استخدامات عديدة، وقد يقصد به النافع أو ما يرضى النفس ... ومن هذا المفهوم اعتقد بعض الفلاسفة أن الأشياء الجميلة تحقق لنا الفائدة، أي أن الجمال يتمثل في الفائدة منه بالرغم من أن الجمال ليس هو الفائدة وليس مقترناً بها دائماً " [١] فلكل من الحق والخير والجمال قيمة تختلف عن الأخرى؛ " فليس من الضروري أن يكون الجميل خيراً، أو يكون الخير جميلاً، إلا أنهما يختصان كما وصفهما جورج سانتيانا بعالم الروح والعقل معاً فهما لا ينفصلان، بل هما يجتمعان في الانسان حين يتصل بمحيطه وظروفه ونمطه السلوكي، وبذلك يتكون في المجتمع ما يطمح له في أن يكون العالم الأمثل أكثر كمالاً ومليء بخير أسمى مما نعرفه في عالم الواقع " [٢] وهو ما يتفق وتعريف الفن الإسلامي ذكره محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي بأن الفن الإسلامي هو الفن الذى يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق فالجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقى عندها كل حقائق الوجود"[٣].

كما قرر أفلاطون أن " للجمال والحق لذة خالصة لا يخالطهما ألم على الإطلاق، ووضع الجمال في التناسب والائتلاف، وبذلك كان للفن عنده مضمون أخلاقي يتمثل في التسامي بأرواحنا، ومساعدتنا على مقاومة أهوائنا، وأن الفن هو المعنى بتربية الأخلاق، ولذلك نادى بعرض الأعمال الفنية التي تدعو للفضيلة لضمان نشر الأخلاق الحسنة بين أفراد المجتمع ورفض العروض الفنية التي تدعو للرذيلة لأنها تنشر سوء الأخلاق بين الأفراد وهو ما يؤدى إلى ضرر المجتمع.

وقد ترجم الفن الإسلامي إيقاعات الكون المحيطة والحق والخير في صناعات إبداعية جميلة ليس بهدف البحث عن الحقيقة إنما بهدف التعبير عن الحقيقة التي ينقل من خلالها المعرفة والثقافة بطريقة إبداعية وإضفاء الجمال على كل ما يقع عليه النظر من صناعات تدركها الحواس ويدركها العقل جمالياً فينتج عنها متعة وراحة وروح متجددة وسرور للنفس بل وتنقيتها وعودة الإنسان لإنسانيته بترسيخ القيم في النفوس فتربى الأخلاق كما رأى أفلاطون.

---

[١]- محسن عطية: ٢٠٠٠، القيم الجمالية في الفنون لتشكيلية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩.
[٢]- أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ١٨.
[٣]- محمد قطب: ١٩٨٣، منهج الفن الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص٦.

وبذلك تؤثر الاستجابة للفن على السلوك، فعملية الاستجابة للمؤثرات الجمالية للفن ومنها الصناعات الابداعية يتحرك لها الوجدان بالمتعة والارتياح، مما يجعله يندفع إلى الاستجابة له بشكل سلوك يطلق عليه السلوك الجمالي، الذي هو " سلوك متعمد أو مقصود، ناتج عن استثارة انتباه المتلقي التي تجعله يدرك القيم الجمالية، والاستجابة الجمالية حالة سيكولوجية لها هويتها المتميزة وطبيعتها الفريدة ... ولعل أهم ما يركز عليه المتخصصون في السلوك الجمالي هو البعد الوجداني الذي يلعب دوراً أساسيا في تشكيل نوع من أنواع الذكاء يقبل بمقتضاه الأنسان أو يرفض ما يعرض عليه أو يتعرض له من نماذج قابلة للتذوق والتقويم، يطلق عليه الذكاء الوجداني"[١] والذي ينعكس بدوره على السلوك الجمالي حتى يصبح نمط حياة مستدام لأطول مدى زمني ممكن يؤدى إلى المحافظة على استمرار قيم الجمال في الحياة، والمحافظة عليها مع تعاقب الأجيال، وتشكل حافزا مهماً لاستدامة حياة الكائنات الحية

وبالرغم من أن الاستدامة هي "مصطلح بيئي يصف كيف تبقى الانظمة الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت. والاستدامة بالنسبة للبشر هي القدرة على حفظ نوعية الحياة التي نعيشها على المدى الطويل"[٢]، بهدف إجراء تعديلات في أنماط الحياة الفردية التي تحافظ على الموارد الطبيعية إلا أنه في أحد تعريفاتها نجد الاستدامة هي كيفية تحقيق النحو الذي يأخذ بعين الاعتبار الجانب الإنساني بكل أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، إنها قدرة النظام على التكيف والمحافظة على بنيته ونماذج سلوكه في مواجهة الاضطرابات الخارجية، وإن الفن وهو مرتبط بتربية الأخلاق كما قال أفلاطون فتكون القيم الجمالية هي هادية للقيم السلوكية، وأن الفرد يكتسبها عن طريق معايشة الفن ومنتجات الصناعات الإبداعية فإن العلاقة بذلك يصبح لها مردود إيجابي بآداب السلوك وأنماطه، حيث يتم تشرب هذه القيم عن طريق التعامل مع الجميل في كل من الفن والصناعة الإبداعية، وهي لا تقتصر على عمر بعينه، لكنها تشمل الزمن المعاش كما تنعكس على قواعد الضبط الاجتماعي، ومبادئ الأخلاق والدين، ومعايير السلوك ومفاهيم قيم المجتمع، وبفهم القيم السلوكية يتم الالتزام بآداب السلوك والتطبُّع بها والتكيف معها، والتفاعل السوي بموجب معطياتها وتنمية القدرات وشحذ الذكاء الاجتماعي وتجسيد أنماط السلوك المرغوب فيه، وبناء الشخصية الفاعلية، وهذه كلها عناصر السلوك الجمالي أساس الشخصية السوية، وسبيل تأهيل المواطن الصالح مما يساهم في النمو

[١]- السلوك الجمالي وعلاقته بالذكاء الوجداني لدى طلاب كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد: ٢٠٢١، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، العدد ٧٤، العراق.

[٢]- موسعي ميلود: ١٩٨٧، التنمية المستدامة، رابط الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقرير مفوضية الأمم المتحدة للبيئة والتنمية: مستقبلنا المشترك. https://www.un.org/ar/ga/documents/symbol.shtm

الحضاري والرقي والثراء والتقدم في المجتمع، ليس في قيمه الجمالية فقط، بل في بنية المجتمع بأبعاده وأنساقه المتباينة.

ويمكن رصد دور الصناعات الإبداعية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام فيما يلي:

- استدامة تجميل المنافع الحياتية
- سهولة الاستجابة الشكلية والجمالية والدلالية
- الاستمتاع البصري
- الرضا والسعادة المستدامة
- رقي الحس والشعور الإنساني
- تربية الذات المتلقية تربية جمالية
- تعزيز الأفكار والخيال والمشاعر النافعة
- الارتقاء بالقيم الجمالية والذوق والعاطفة الوجدانية

نتائج البحث:

- للصناعات الابداعية دور في إزالة الحواجز بين الفن والحياة.
- تعد الصناعات الإبداعية بمثابة ذاكرة جماعية للمجتمع ومستودع للأفكار الخلاقة.
- للصناعات الإبداعية دور كنموذج اقتصادي فريد يعزز السلوك الجمالي والهوية المجتمعية والإبداعية.
- تتصل الصناعات الإبداعية بوجدان البشر ومشاعرهم، وتكوين ميولهم وأذواقهم واتجاهاتهم النفسية بأدواتها المتنوعة والمؤثرة مما يسمع أو يقرأ أو يرى أو يحس أو يتأمل.
- الصناعات الإبداعية تعمل على تنمية تذوق الجمال واستحسانه ثم إبصار مكوناته حتى تؤثر على الخيال والنفس والسلوك والأخلاق.

توصيات البحث:

- تحتاج الصناعات الإبداعية إلى مزيد من الدراسة والتحليل
- اجراء المزيد من دراسة الصناعات الإبداعية الإسلامية للوقوف على تتبع أصولها القديمة وتطورها الذي أحدثته الثقافة الإسلامية.
- الاستمرار على الصناعات الابداعية كدافع لتنمية السلوك الجمالي عند المجتمع.

مراجع البحث:

المراجع العربية:

١. محمد قطب: ١٩٨٣، منهج الفن الإسلامي، مطبعة دار الشروق، مصر.
٢. أمل مصطفي: ٢٠٢١، جماليات الفنون الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
٣. حكمت بركات: ٢٠١٧، الفنون القبطية والإسلامية، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر.
٤. مصطفي عبده: ١٩٩٩، المدخل إلى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية، مكتبة مدبولي، مصر.
٥. محمد عمارة: ٢٠٠٧، الإسلام والفنون الجميلة، دار الشروق، مصر.
٦. محسن عطية: ٢٠٠٠، القيم الجمالية في الفنون لتشكيلية، دار الفكر العربي، مصر.
٧. السلوك الجمالي وعلاقته بالذكاء الوجداني لدى طلاب كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد: ٢٠٢١، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، العدد ٧٤، العراق.

المراجع الأجنبية:

1. Rosso ،Lula.: 2012 , Materials Research and Innovation in the Creative Industries Retrieved from Materials research and innovation in the creative industries – Publications Office of the EU (europa.eu)

مراجع الإنترنت:

١. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، رابط

www.unesco.org/new/ar/culture/themes/cretivity/creative-industries/

٢. موسعي ميلود: ١٩٨٧، التنمية المستدامة، رابط الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقرير مفوضية الأمم المتحدة للبيئة والتنمية: مستقبلنا المشترك.

https://www.un.org/ar/ga/documents/symbol.shtm

ملخص البحث

دور الصناعات الإبداعية في الفنون الاسلامية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام

تعد الصناعات الإبداعية أعمالاً فنية في مختلف المجالات التطبيقية، ذات طرز تجمع بين المعرفة والإبداع فهي تمثل رؤية لمستقبل عمليات عقلية وتقنيات جديدة، بحيث تتحول الأفكار إلى واقع يثمر عنها نتائج مبتكرة تحمل قيم جمالية تفيد الفرد والمجتمع، وقد احتلت الصناعات الإبداعية مركزاً أساسياً بين الفنون الإسلامية المختلفة إذ كان التجميل في كل ما له صلة بالإنسان وهو يعد عملية تطبيقية لنظرة الإسلام الجمالية الشاملة التي جاء بها المنهج الإسلامي ودعا إليها، ليصبح لغة متداولة يتعامل بها كل الناس عند استخدام الأشياء والأدوات في الحياة اليومية، بمعنى صُنع أشياء عمليّة ذات فائدة وجذّابة من الناحية الجماليّة، وهي تشمل الأشياء التي تتضمّن تطبيق التصاميم الجمالية عليها، مثل النسيج والخزف وصناعة الورق، والزجاج والخشب والجلود وهي صناعات حظيت بعناية خاصة لكونها من مظاهر التحضر فوصلت إلى درجة كبيرة من التنظيم والإتقان.

فتكون القيم الجمالية هي هادية للقيم السلوكية، وأن الفرد يكتسبها عن طريق معايشة الفن ومنتجات الصناعات الإبداعية فإن العلاقة بذلك يصبح لها مردود إيجابي بآداب السلوك وأنماطه، حيث يتم تشرب هذه القيم عن طريق التعامل مع الجميل في كل من الفن والصناعة الإبداعية، وتنعكس على قواعد الضبط الاجتماعي، ومبادئ الأخلاق والدين، ومعايير السلوك ومفاهيم قيم المجتمع، والتفاعل السوي بموجب معطياتها وتنمية القدرات وشحذ الذكاء الاجتماعي وتجسيد أنماط السلوك المرغوب فيه، وبناء الشخصية الفاعلية، وهذه كلها عناصر السلوك الجمالي أساس الشخصية السوية، وسبيل تأهيل المواطن الصالح مما يساهم في النمو الحضاري والرقي والثراء والتقدم في المجتمع، ليس في قيمه الجمالية فقط، بل في بنية المجتمع بأبعاده وأنساقه المستدامة.

ومن أهمية الصناعات الإبداعية في تعزيز السلوك الجمالي المستدام فيما يلي:

- استدامة تجميل المنافع الحياتية
- الرضا والسعادة المستدامة
- رقي الحس والشعور الإنساني
- تعزيز الأفكار والخيال والمشاعر النافعة
- الارتقاء بالقيم الجمالية والذوق والعاطفة الوجدانية